مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

من أنواع الهجاء السّياسي في الشّعر الأندلسي – هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي – (نماذج مختارة)

One of the types of political satire in Andalusian poetry - Satirizing the elements of Andalusian society – (Selected models)

د. عمار عبد الرحمن إسماعيل أمبدة

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، (السودان)

ammanb059@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/28 تاريخ القبول: 2025/03/09 تاريخ النشر: 2025/03/31

الملخص:

جاءت هذه الدّراسة بعنوان: من أنواع الهجاء السّياسي في الشعر الأندلسي- هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي- (نماذج مختارة) وهي تهدف للوقوف على بعض أنواع هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي، مثل: الهجاء العربي القبلي، هجاء اليهود، هجاء الفرنجة، هجاء الشعوبيّة. وذلك بعرض أهمّ نصوصه ودراسته، وتوضيح المعاني المختلفة التي دارت حوله. اتّبعت الدّراسة المنهج الاستقرائي. وتوصّلت إلى عدّة نتائج أهمّها: إنّ عوامل نفسيّة واجتماعيّة معقّدة كانت وراء النّزعة الهجائيّة عند الشّعراء. الأشكال والصّور والألفاظ التّي استخدمها الشّعراء في هجائهم ساعدت على ترسيخ رسالتهم الهجائيّة. توصي الدّراسة الباحثين بدراسة أنواع الهجاء الأخرى في الشّعر الأندلسي.

الكلمات المفتاحية:

شعر؛ عناصر؛ هجاء؛ سياسي؛ مجتمع.

Abstract:

This study was titled: One of the types of political satire in Andalusian poetry- Satirizing the elements of Andalusian society-(Selected models) The study aimed to identify some types of satire on components of Andalusian society ،Like: the Arabic tribal spelling ،Satire of the Jew ،Frankish satire ، Satire of populism. By presenting and studying its most important texts ،And clarifying the different meanings surrounding it. The study followed the inductive method. It reached several results, the most important of which is: Complex psychological and social factors were behind the satirical tendency of poets. The forms, images, and words that the poets used in their satire helped to consolidate their satirical message. The study recommends that researchers study other types of satire in Andalusian poetry.

Keywords:

hair; Elements; spelling; Political; Community.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

الحمد لله الموفق لكلّ خير، والحاثّ على كلّ برٍّ، والدّال على كلّ فضلٍ وإحسان، والصّلاة والسّلام على قدوتنا وحبيبنا محمد- صلّى الله عليه وسلّم- وعلى آله وصحبه ومن والاه – واهتدى بهداه- إلى يوم الدين، وبعد:

الهجاء فن قديم في الأدب العربي، ولكنه تطوّر تطوّراً كبيراً منذ العصر الجاهلي حتّى العصر العبّاسي، ونفس الشّيء في الأندلس، فقد شهد تطوراً في معانيه وألفاظه وصوره، لهذا برز له العديد من الأغراض التي تميز بها. ومن هنا نجد أن شعر الهجاء في الأندلس له عوامل متعدّدة كانت هي السّبب في توسّعه، ومن أهمّ هذه العوامل العامل السياسي.

شهدت بلاد الأندلس عبر التّاريخ أحداثاً سياسية مضطربة غير مستقرّة، كالخلاف الذي دار بين الولاة والأمراء، وخضوع الأندلس لسيطرة الأفارقة، إلى أن سقطت في قبضة الإسبان، وبسبب هذه العوامل والتّحديات السياسية، قام الشعراء الأندلسيون بالتّعبير عن استيائهم وغضبهم واستهزائهم تجاه جماعة معينة، من خلال لجوئهم إلى نمط الهجاء في أشعارهم.

وعليه فلم يكن اختيار الباحث لهذا الموضوع بعنوان: (من أنواع الهجاء السّياسي في الشعر الأندلسي...) وليد الصّدفة وإنّما جاء بالنّظر لأهميته كونه يقدّم دراسة أدبيّة لهجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي من النّاحية السّياسية. وعليه: ما مفهوم الهجاء السياسي في الأندلس؟ وما عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي التي لم تسلم من هجاء الشّعراء؟ وللإجابة عن هذه الاشكاليّة اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي.

اشتملت الدّراسة على ثلاثة عناوين، بدأ الأوّل منها بمفهوم الهجاء، والثّاني للحديث عن الهجاء السياسي وأنواعه في الأندلس، والعنوان الثّالث تناول هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي، وقد ضمّ الهجاء العربيّ القبلي، وهجاء اليهود، وهجاء الفرنجة، وهجاء الشّعوبيّة.

2. مفهوم الهجاء:

قال ابن منظور في لسان العرب:(هجا: هجاه يهجوه هجوا وهجاء وتهجاء، مدود: شتمه بالشّعر، وهو خلاف المدح. قال اللّيث: هو الوقيعة في الأشعار. وهم يتهاجون: يهجو بعضهم بعضا، وبينهم أهجوة وأهجية ومهاجاة يتهاجون بها) (ابن منظور، 1985م، ص353).

وفي المصباح المنير: (هجاه يهجوه هجوًا وقع فيه بالشّعر وسبه وعابه) (الفيومي، 1997م، ص635). والهجاء غرض من أغراض الشّعر، يعبر به الشّاعر عن عاطفة الغضب، أو الاحتقار، أو الاستهزاء، فهو نقيض المدح.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ونلاحظ في القصيدة الهجائيّة نقائض الفضائل التّي يتغنّى بها المدح، فالغدر ضدّ الوفاء والبخل ضدّ الجود والكذب ضدّ الصّدق والجبن ضدّ الشّجاعة والجهل ضدّ العلم.

وشعر الهجاء باب واسع في الأدب العربي دخله عدد من الشّعراء ويتّجه عدّة اتّجاهات منها الهجاء الفردي ويتوجّه فيه الشّاعر إلى شخص معين، والهجاء الجماعي يتوجّه فيه الشّاعر إلى مجموعة معينة، والهجاء الخُلقي يتناول فيه الشّاعر العيوب الخُلقيّة كالجبن والكذب، والهجاء الخَلْقي يتناول فيه الشّاعر عيوب الجسد من أنف طويل، أو قامة قصيرة وهكذا.

وقلّما خلا عصر من عصور الأدب العربي من شعر الهجاء، وكل ما هنالك أنّ دواعيه قد تقلّ في عصر وتكثر في عصر آخر.

3. أنواع الهجاء السّياسي في الأندلس:

الهجاء الأندلسي- في معظمه- لا يتعرّض للأنساب مخالفاً بذلك ما نهج عليه شعراء الهجاء بالمشرق، كما تغلّب عليه خفة الرّوح والنّكتة اللّاذعة، وكان يميل إلى العفّة وعدم الإغراق في الفحش، واستعمال بذيء الألفاظ، وكان بمنأى عن ذكر العورات، مخالفاً في هذا كل ما درج عليه شعراء العصر العباسي (سلامة، 2000، ص229).

إنّ المتتبع للأحداث التّاريخية في الأندلس يشعر أن الأندلسيين لم يقدّر لهم الاستمتاع بحياة سياسية مستقرّة، " فعهد الولاة كان عهداً مضطرباً، قامت فيه ناحية ثورات البرابرة ضد العرب واستحكم الشّقاق والتّنافس من ناحية أخرى بين مختلف الولاة القادمين من المشرق وانتقلت معهم العصبيّة القبليّة وبدأ نزاعها ظاهراً بين القيسية واليمينية" (الركابي، 1960م، ص14).

وأخذت عوامل الضّعف والانقسام تدبّ في كيان المجتمع الأندلسي، ففي أواخر حكم الأمويين ابتليت الأندلس بخلفاء ضعفاء، وسرعان ما أضحت البلاد نهباً لفتنة عاتية قضت على الخلافة الأموية، ومزّقت وحدة الأندلس، فانقسمت إلى دويلات يستأثر بكلّ واحدة منها حاكم أو أمير، وأنفق أمراء الطّوائف أموالاً طائلة في تشييد الحصون لحماية ملكهم، وانساقوا وراء مصالحهم الذّاتية، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن يدفعوا صاغرين الجزية للرّوم، ودارت رحى الحرب فيما بينهم، واستعانوا بالرّوم في حلّ خلافاتهم، بل إنّ بعضهم تحالف مع الرّوم ضدّ جيرانه من المسلمين، وبعد سقوط دويلات الطّوائف خضعت الأندلس لحكم الأفارقة، وأصبحت تابعة لا متبوعة، وفي أواخر عصر الموحدين أخذت المدن الأندلسية تتهاوى في يد الإسبان مدينة إثر أخرى ولم يبق سوى غرناطة وبعض الحصون التي ظلّت تقاوم ردحاً من الزمن إلى أن سقطت في آخر الأمر مؤذنة بأفول شمس الإسلام عن الأندلس. ولم يقف شعراء الأندلس موقفاً سلبياً إزاء هذه الأحداث، وإنّما ارتفعت أصواتهم تندّد بسياسة حكّام

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الأندلس، وتنتقد تصرفاتهم، و وصفهم بالخزي والمهانة، كما عبرّ الشعراء عن الصّراعات القبيلة والدّعاوي الشّعوبيّة كما سنرى في حديثنا عن الهجاء السياسي (هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي).

4. هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي:

تباينت أنواع الهجاء السّياسي في الأندلس، وتوزّعت بين هجاء الملوك والحكّام، والهجاء القبلي، وهجاء الشّعوبيّة، وهجاء الرّوم واليهود. ومن هنا نقف عند بعض أنواع هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي من النّاحية السّياسيّة.

4. 1. الهجاء العربي القبلي:

كان العنصر العربي الذي استقرّ في الأندلس بعد الفتح ينتمي إلى قبائل عربيّة عديدة، وانتشر النّازحون من هذه القبائل في شتّى بقاع الأندلس، فاستقرّت لخم في الجزيرة الخضراء وإشبيلية وكان منهم بنو عبّاد، وأقام بنو صخر من غطفان بناحية قرمونة، وبنو مرّة بإلبيرة، وبنو منذر بن الحارث من ثقيف بباجة، وبنو عقيل بجيّان و وادي آش، وخثعم وهمدان فإلبيرة، وخولان بقرطبة، والمعافر ببلنسية وجذام بشذونة وتدمير، وهوازن بالقرب من إشبيلية، وبلى في شمال قرطبة، وبنو عذرة بجيّان وسرقسطة (عباس، 1969م، ص41).

وانتقلت العصبية القبلية إلى الأندلس مع طلائع العرب الفاتحين الذين وفدوا من المشرق، وظهر النّزاع من جديد بين القيسيّة واليمنيّة.

يقول لين بول "Lane- Poole" ما كادت موجات الفتوحات العربيّة تهدأ ويستقرّ سلطان المسلمين بالأندلس، حتى تيقّظت فيهم روح العصبيّة القبليّة عاتية مدمّرة مما أسلم البلاد إلى طوفان من الفوضى والانحلال" (Lane Poole، 1920م، ص51).

وبلغت هذه العصبيّة ذروتها في عصر الولاة، وكان كلّ وال يتعصّب لبني جلدته، فحين تولى أبو الخطّار الحكم انحاز لقومه اليمنيين ضدّ القيسيين لا سيّما وقد كانت له مشاكل قديمة" منها أنه كان هو ذاته ضحيّة ظلمهم في إفريقيا ومنها قتلهم واحداً من أعظم رجال قبيلته في الأندلس وهو سعيد بن حواس" (دوزي، 1963م، ص168).

وقد أغلظ الخطّار في معاملة القيسية لا سيّما بعد مقتل ابن حواس الذي يقول عنه: (دوزي، 1963م، ص168)

فليت ابن حـــــواس يخبر أنّني سعيتُ به سعي امرئ غير غافل
قتلتُ به تســـعينَ يحسبُ أنّهم جذوع نخل صرعت بالمســـائل

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وظلّت هذه العصبيات القبليّة محتدمة في الأندلس حتّى جاء عبد الرحمن الداخل فانتهج سياسة جديدة للقضاء على هذه العصبيات وذلك بالإكثار من شراء العبيد وإلحاقهم بديوان الجند، كما جلب من إفريقيا أعداداً كبيرة من البربر.

ومن هذا العرض يتّضح أنّ العصبيّة القبليّة لم تشتعل إلّا في العصور الأولى في الأندلس ثم خمدت بعد ذلك لانصهار عناصر السّكان من العرب في بوتقة واحدة ولظهور الإحساس بالانتماء إلى الوطن الأندلس، وتأصّل النّزعة الأندلسيّة الأصيلة في نفوس الأندلسيين.

ويعكس الهجاء القبلي بعض الصّراعات والفتن التّي احتدمت من أجل الاستئثار بالحكم أو الخلافة، ففي عهد المستنصر بالله خرج حسن بن قنون القرشي عن الدّعوة، وزعم بأحقّيته في الخلافة لانتسابه لقريش، وقد هجاه محمد بن شخيص شاعر المنتصر فقال: (ابن حيان، 1971م، ص85)

كيـــــــــــــفَ يُرْجَـــــــــــــى بـــــــــــأن يُوفِـــــــــــــي قريشًا
حَقَّـــــــــــــها وهو مـــــــــــن قريـــــــــــشٍ نَقِـــــــــــي
قَدَّمَتْـــــــــــــهُ الـــــــــــــطّغامُ أن قال جـــــــــــــدِّي
حَسَنِـــــــــــــي وليتـــــــــــــه حَسَنِـــــــــــــي
فيـــــــــــــرى فـــــــــــــي أميّـــــــــــــة ما رآه
حَسَـــــــــــــنُ الفاضـــــــــــــلُ التّقـــــــــــــيُّ الرّضِي

إنّ ألفاظ الهجاء المر- كما يبدو- هي الطّاغية على هذه الأبيات، ولعلّ أسلوب الاستفهام الإنكاري في: كيف يوفي قريشاً حقّها. دليلٌ على تعجّب الشّاعر وإنكاره أنّ مهجوه يروم الخلافة، ويهجوه بأنّه يجب أن ينفى من قريش؛ لأنّه من الطغام أي أرذل النّاس وأضعفهم.

كما هجاه وشياعه بقصيدة أخرى قال فيها: (ابن حيان، 1971م، ص85)

عصابـــــــــــــةٌ تَدّعِـــــــــــــي في هاشـــــــــــــمٍ نسبًا
وما يَصَـــــــــــــحُّ لها فـــــــــــــي معشـــــــــــــرٍ نَسَبُ
عُمْـــــــــــــيُ البصائـــــــــــــرِ لـــــــــــــم يَسْلَسْ معاطِفُـــــــها
إلى مساعـــــــــــــي التّقـــــــــــــي دين ولا حَسَـــــــــــــبُ
وزادها فـــــــــــــي عماهـــــــــــــا أنّ أوّلَـــــــــــــها
ألْقَـــــــــــــى العَصَا حيـــــــــــــثُ لا عِلـــــــــــــمٌ ولا أدبُ
نَشَّتْ مـــــــــــــع الوحشِ فـــــــــــــي دَهْمَاءَ ليس لها

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فـــــــي غيـــــــرِ حَسْوِ الحِسَـــــــــــي رأيٌ ولا أرَبُ

ولو غَدَتْ من قريـــــــــــشٍ فـــــــــــي ذوائِبِها

لأوْجَبـــــــــتْ نَفْيَها الأحـــــــــــــداثُ والرِّيَـــــــــــــبُ

وكـــــــــــلُّ مُلْتَهِـــــــــــبٍ يُطْفَا وشَرُّهـــــــــــــم

مـــــــــــن بعدِ عُثمانَ يُطفا ثـــــــــــــمَّ يَلْتَهِـــــــــــبُ

إذا غَدَا حَسَـــــــــــــنٌ في الآلِ مـــــــــــن حَسَنٍ

رأسًا فَيا ليـــــــــــــتَ شِعْـــــــــــــرِي أيَّما الذّنـــــــــــبُ

وفي هذا الهجاء وصف الشّاعر المهجوّين بأنّهم ليسوا إلا جماعة قليلة يدّعون أنّهم يُنسبون إلى بني هاشم، ولا يحق لهم أن ينسبوا إلى أي معشر كان، فكيف ببني هاشم؟ ويمضي في هجائهم و وصفهم بعمى بصائرهم، وأنّهم لا دين لهم ولا حسب ولا علم ولا أدب، فهم ليسوا أصحاب رأي، إضافةً إلى أنّهم محدثون للفتن وإثارتها.

كما أنّ توظيف الشّاعر لمجموعة من الصّور البلاغيّة، واستخدام الأساليب الخبريّة والإنشائيّة والشّرطيّة، والدّلالات اللغويّة، يوحي بكثرة الألفاظ الهجائيّة الممزوجة بهذه الصّور والتي يقصدها الشّاعر.

وممّا نلاحظه حول شعر الهجاء العربي القبلي في الأندلس "النّدرة" وبرغم ندرة شعر الهجاء الذي يصوّر هذه العصبيات القبليّة إلا أنّ هذا لا يمنع من افتراض ازدهار الهجاء القبلي في تلك العصور الأولى، لا سيّما وأنّ الرّوايات تشير إلى أنّ كلّ شيخ من شيوخ العرب في الأندلس كان له شاعره الخاص (دوزي، 1963م، ص169).

ومهما يكن من أمر فإنّ الأمثلة التّي عرضناها تشير إلى أنّ الهجاء القبلي كان قريب الشّبه من الهجاء المشرقي في معانيه وأساليبه وصوره.

4. 2. هجاء اليهود:

تسلّل اليهود إلى المجتمع الأندلسي قبل الفتح العربي وباتوا يؤلّفون عنصرًا من عناصر سكّانه وقد استقبل هذا العنصر الفاتحين العرب كمحررين لأنّ النّورمان كانوا يسومون اليهود أنواع العذاب،... وفي القرن العاشر الميلادي كانت قرطبة أكبر مدينة إسبانيّة تضم يهودًا، وكانوا يمتهنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزّينة، وقد تقلّب بعضهم في مناصب الدّولة ولاسيّما في عهد النّاصر (الركابي، 1960م، ص41).

وقد أشار جوستاف لوبون بما لقيه اليهود من معاملة حسنة في الأندلس فذكر أنّ إسبانيا العربيّة كانت هي البلد الأوربي الوحيد الذي كان اليهود يتمتّعون فيه بحماية الدّولة ورعايتها (زعيتر، 1964م، ص296).

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وقد ارتفع شأن اليهود في بعض الفترات، وتقلّد بعضهم مناصب الوزارة وقويت شوكتهم في غرناطة في عصر ملوك الطوائف، فاستوزر "هسمبنو زيري" وسيطروا على مقاليد الأمور، فنشأ تيّار مناهض لنفوذ اليهود، وارتفعت أصوات الشّعراء تعبّر عن سخط الأندلسيين وغضبتهم لتحكّم اليهود في شؤون المسلمين واستئثارهم بخيراتهم. وقد عبّر ذلك أبو الحسين يوسف بن الجد فقال: (ابن بسام، 1979م، ص562)

تحكّمـــــــــــــــــت اليهودُ علـــــــــــــــــــــــــــــى الفُرُوجِ
وتَاهَـــــــــــــــــتْ بالبِغـــــــــــــــــــــــــــــالِ وبالسّـــــــــــــــــــروجِ
وقامـــــــــــــــــتْ دولـــــــــــــــــــــــــــــةُ الأنـــــــــــــــــــــــــــذالِ فينا
وصارَ الحُكْـــــــــــــــــــــــــــمُ فيـــــــــــــــــــــــــــنا للعُلُـــــــــــــــــــــــــــوجِ
فقـــــــــــــــــــــل للأعـــــــــــــــــــــــــــورِ الدّجـــــــــــــــــــــــــــالِ هـــــــــــــــــــذا
زَمَانُـــــــــــــــــك إنْ عَزَمْـــــــــــــــــــــــــــتَ علـــــــــــــــــــــــــــى الخُروجِ

الهجاء في هذه الأبيات نابع عن الاستياء والغضب من اليهود، بتولّيهم الحكم وتحكّمهم في الدّولة واستيلائهم على ما فيها، ويتمثّل الهجاء في وصفهم أنّهم أنذال، وكالحمر الوحشية كما وصفهم بالغلظة وأنّهم علوج، ويشير إلى عوثهم في الأرض فسادا وقد عدّ هذا آخر الزمان وأنّه آن للدّجال أن يخرج؛ لأنّ بتولي هؤلاء اليهود الحكم انتهى الزّمان.

تظهر في هذه الأبيات الأفعال الدّالة على كثرت حدوث الفعل مثل: تحكّمت: من الفعل تحكّم على زنة تفعّل. و الجمل الفعليّة ذات الأفعال الماضية الدّالة على تحقّق وقوع الفعل وحدوثه نحو: تاهت، قامت، عزمت. ممّا يدلّ على شدّة استياء وغضب الشّاعر من اليهود. كذلك أكثر من صيغة (فُعُول) التّي تفيد التّكثير نحو: فروج، علوج، سروج.

وفي الأبيات إكثار من استخدام صوت الألف الذي يفيد الاتّساع والانفتاح: بغال، تاهت، قامت، أنذال، فينا، صار، دجال، زمانك. وصوت الجيم الذي عكس قوّة الخطاب وشدّته واضطرابه. ومن الصّور البلاغيّة الواردة: السّجع والجناس غير التام في فروج، خروج، سروج. والكناية في تحكّمت اليهود على الفروج. وفي: تاهت بالبغال وبالسّروج. وفي: هذا زمانك إن عزمت الخروج. كلّ ذلك يؤكدّ على الهجاء المر الذي ذكره الشّاعر في شأن اليهود.

وكان أبو إسحاق الإلبيري أبرز شعراء الأندلس الذين عبّروا عن مشاعرهم المناهضة لليهود، فقد عاش حياة قلقة في غرناطة، وهاله استبداد اليهود بأمورها. ولم يكن راضيًا عن إيثار حكّام غرناطة لهم، فقد احتّصوا بني

المجلد: (17) | العدد: (01) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 454–475 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

النّغريلة بمناصب الوزارة، وتركوهم يصرّفون الأمور حسب أهوائهم مقابل الجبايات التّي كانوا يجمعونها من النّاس ويقتسمونها معهم، فتحكّم هؤلاء الوزراء ومعهم المتصرفون اليهود في مقدرات المسلمين.

ومن هنا تصاعدت مشاعر الغضب تجاه اليهود، ونظّم أبو إسحاق الإلبيري قصيدته الشّهيرة في هجاء اليهود وتحريض البربر للثّورة عليهم. ووضع حد لنفوذهم الذي استشرى وأعضل داؤه المسلمين. ومنها قوله يستثير قبائل صنهاجة، ويحفزهم لتدارك هذه السّقطة الشّنيعة التّي وقع فيها باديس بن حبوس حين استوزر يوسف بن النّغزلة، فعزّ به اليهود، وتسلّطوا على المسلمين، وملأوا خزائنهم بالأموال، وتجاوزوا المقدار في بغيهم، ويدعو الإلبيري باديس والصنهاجيين إلى أن يأخذوا القدوة من السّلف الصّالح الذين أدركوا حقيقة اليهود وضربوا عليهم الذّلة والمسكنة. يقول: (الإلبيري، 1976م، ص96)

ألا قُـــلْ لصَنْهَاجـــةَ أجمعيـــن
بُـــدورُ النّـــدَى وأُسْـــدُ العَرِين
لقـــد زلّ سَيّدُكُـــم زَلَّـــةً
تُقرّبُـــها أعْيـــنُ الشّامِتِيـــن
تَخيّـــر كاتبَـــهُ
كافـــرًا ولـــو شاءَ كان مـــن المسلميـــن
فعـــزّ اليهـــودُ بـــه وانْتخـــوا
وتاهـــوا وكانـــوا مـــن الأرْذَلين
ونالوا مُناهُـــم وجَـــازُوا المَـــدَى
فحـــانَ الهـــلاكُ وما يَشْعُـــرون
فكـــم مسلـــمٍ فاضـــلٍ قَانـــتٌ
لأرذَلَ قِـــردٍ مـــن المشركيـــن
وما كـــان ذلك مـــن سَعْيِـــهِم
ولكـــنّ مِنّا يَقـــومُ المُعِيـــن
فهـــلا اقْتـــدَى فيـــهم بالأُلَـــى
مِـــنْ القادَةِ الخِيـــرةِ المتّقيـــن
وأنْزِلـــهم حيـــثُ يَسْتَأْهلُـــون
ورُدّهُـــم أسْفلَ السّافِليـــن

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وفي الأبيات جاء الهجاء في هجاء اليهود النّابع من غضب الشّاعر، وذلك لتصرّفهم في أمور المسلمين حيث هجاهم ووصفهم بالأرذلين والقرود المشركين، ويدعو عليهم بالهلاك، وأن يردوا أسفل سافلين، وهذا يبيّن النّفس المشحونة بالبغض والكره، المصحوبة بنزعة التّحريض، حيث يخاطب الصنهاجيين ويلفت نظرهم إلى أن سيدّهم قد ذلّ ذلة قرّت بها أعين الشامتين.

بدأ الشّاعر هذه الأبيات بـــ"ألا": وهي استفتاحيّة دالة على العرض. قل: فعل أمر دلالته طلب حدوث الفعل، أجمعين: توكيد محال إلى أهل صنهاجة، وفي صنهاجة مجاز مرسل علاقته الحاليّة حيث ذكر المحل وأراد الحال. أسد العرين: الصّورة البلاغية فيها: تشبيه. لقد ذل سيّدكم: جملة واقعة مقول القول. وقد: تفيد تحقيق وقوع الفعل الماضي، ذُلّ المبني للمجهول. ذلة: مفعول مطلق جاء مؤكدًا لفعله. تحيّر: على زنة تفعّل وتفيد الصّيرورة. لو شاء... لو حرف امتناع لامتناع يفيد التّمني، وفيه أسلوب الشّرط.

وفي الأبيات إكثار من الأفعال الماضية: شاء، كان، عزّ، انتحوا، تاهوا، كانوا، نالوا، جازوا، حان، اقتدى، أنزلهم، ردّهم. ومعظمها دال على حدوث الفعل ووقوعه إلا أنّ منها ما جاء سياقه للحال نحو: فحان. هلا: أداة التّحضيض أفادت اللّوم والتّوبيخ فيما تركه المخاطب أو فيما يقدر فيه التّرك بدليل مجيء فعل الماضي بعدها.

ولصوت النون حضور في الأبيات وفيه دلالة على الحزن والشّعور بالألم نحو: صنهاجة، أجمعين، النّدى، العرين، أعين، الشّامتين، المسلمين، انتحوا، كانوا، أرذلين، نالوا، مناهم، حان، يشعرون، قانت، مشركين، معين، المتقين، أنزلهم، يستاهلون، سافلين...

وفي الأبيات كناية في: تقر بها أعين الشامتين، لأرذل فرد من المشركين، ردهم أسفل سافلين. وطباق في: مسلم ومشركين. وسجع مرصع في: أجمعين، عرين، شامتين، مسلمين، أرذلين.

وفي موضع آخر من هذه القصيدة يستثير أبو إسحاق حمية باديس ويهيّج مشاعره للغضب على أولئك اليهود الذين بغضوه إلى النّاس، وهدموا ما شيّد من صروح وينعتهم بأقبح الأوصاف، فهم: فراخ زنا، وهم أهل الفسق وأرباب الفساد ويلوح بالمعاني القرآنية التّي وردت في شأنهم فيقول: (الإلبيري، 1976م، ص97).

أباديـــــــــــــــسَ أنـــــــــــــــتَ امـــــــــــــــرؤٌ حاذِقٌ
تُصِيـــــــــــــــبُ بظنِّك نَفَـــــــــــــــسَ اليقيـــــــــــــــن
فكيـــــــــــــــفَ اختَفَـــــــــــــــتْ عنك أعْيانُـــــــــــــــهم
وفـــــــــــــــي الأرضِ تضـــــــــــــــربُ منها القرون
وكيـــــــــــــــف تُحِـــــــــــــــبُّ فـــــــــــــــراخَ الـــــــــــــــزّنا
وهـــــــــــــــم بغضُـــــــــــــــوك إلى العالميـــــــــــــــن

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وكيـــــــــــــف يَتـــــــــــــمُّ لك المُرتقَـــــــــــــى
إذا كُنـــــــــــــتَ تَبنـــــــــــــي وَهُـــــــــــــمْ يَهْدِمُون
وكيف استَنَمْـــــــــــــتَ إلـــــــــــــى فاســـــــــــــقٍ
وقَارَنتـــــــــــــهُ وهو بِئـــــــــــــسْ القَريـــــــــــــن
وقـــــــــــــد أنزلَ اللهُ فـــــــــــــي وَحْيـــــــــــــهِ
يُحـــــــــــــذِّرُ عـــــــــــــن صُحبـــــــــــــةِ الفَاسِقين
فـــــــــــــلا تتّحـــــــــــــذ منـــــــــــــهم
خادمًا وذَرْهم إلـــــــــــــى لعنـــــــــــــةِ اللاعِنيـــــــــــــن
فقد ضجّـــــــــــــتْ الأرضُ مـــــــــــــن فسقـــــــــــــهِم وَكَادتْ
تَميـــــــــــــدُ بـــــــــــــنا أجمعيـــــــــــــن
تأمّـــــــــــــل بعينيـــــــــــــكَ أقْطَارهَـــــــــــــا
تَجِدهُـــــــــــــم كلابًا بـــــــــــــها خَاسِئيـــــــــــــن

يلوم الشّاعر في هذه الأبيات باديس حيث استثار غضبه وهيّج ما في نفسه من كره، ويخاطبه أنه شخص حاذق ونابه وذكي يلمح كلّ شيء ويظنّ ويصيب ظنّه، ورغم ذلك يلومه بعدم انتباهه لهؤلاء اليهود الذين هجاهم بأقبح هجاء وذلك بوصفهم أنهم فراخ زنا أي أولاد زنا، وأنهم السّبب في بغض الناس له بسبب إشعالهم الفتن، ولا ترتجى منهم حسنة إذ أنّه يحاول جاهدًا الإصلاح والبناء ومن خلفه يهدمون ما سعى إليه. ويواصل الشّاعر هجاءه ويصفهم بالفسق وأنّهم بئس القرين، ويدعم ذلك بأنّ الله قد حذّر في كتابه من مصاحبة الفاسقين. ويحثّه بالابتعاد عنهم وألا يتّخذ منهم خليلاً ولا خادماً. ويجب عليه أن يدعهم فهم ملعونون، ولن تهدأ الأرض بسبب فسقهم الذي كاد أن ينهي الجميع. و لم يقف على ذلك بل يضيف إلى هجائه أنهم من أخسأ الكلاب.

أباديس: حذف أداة النداء (يا) الدّالة على قرب المنادى وخطابه هنا فيه إشارة لغفلة المنادى وشرود ذهنه. أنت امرؤ حاذق: استخدم الجملة الاسميّة الدّالة على الاستقرار حيث بدأها بضمير المخاطب (أنت) وهو من الإشاريات الشّخصية التّي تأتي في المرتبة الثّانية بعد ضمائر المتكلّم، من حيث تقوية الخطاب. تصيب بظنّك: جاءت هذه الجملة مفسّرة للوصف السّابق لها وهو اسم الفاعل.

كرّر الشّاعر الأسلوب الاستفهامي المستفهم عنه بـــ (كيف) مع تعدد الدّلالات فجاء الاستفهام حاويًا معنى: التّهويل، وتفظيع شأن المستفهم عنه، والتّنبيه على الضّلال، كذلك فيه معنى التّحقير والتّعجب. كما أنّ هنالك حضور للأسلوب الخبري الابتدائي الخالي من المؤكّدات؛ ليبيّن أنّ مخاطبه خالي الذّهن بالنّسبة لما يوجّه إليه من

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

خطاب، ثم استخدم الخبر الطّلبي مستخدمًا فيه مؤكّدًا واحدًا وهذا يدلّ على أنّ مخاطبه في منزلة الشّاك نحو: قد أنزل الله في وحيه...بئس القرين: أسلوب ذم.

كثر استخدام الأفعال المضارعة الدّالة على غفلة المخاطب واستمراره فيما يفعل: تصيب، تضرب، تبني، يهدمون، تتخذ، تميد، تجدهم، تحب. واستخدام فعل الأمر (تأمل) الدّال على وجوب الفعل، وفي سياقه تنبيه المخاطب واستفاقته من غفلته.

في الأبيات الكثير من الصّور البلاغيّة كالتّشبيه: كلاباً خاسئين، والكناية: تصيب بظنّك نفس اليقين، في الأرض تضرب منها القرون، كيف استنمت إلى فاسق... ضجة الأرض من فسقهم. والاستعارة : تضرب منها القرون، ضجت الأرض.

وأكثر من استخدام صوت القاف الدّال على قوّة الخطاب وتأثيره على المخاطب إذ أنّه صوت شديد قوي مجهور. يؤثّر على سامعه ويلفت انتباهه: حاذق، يقين، قرون، مرتقى، فاسق، قارنته، قرين، قد، فاسقين، فسقهم، أقطارها.

ومن هنا كان أبو إسحاق الإلبيري أكثر شعراء الأندلس جرأةً ضدّ اليهود، فقد دعا بصراحة إلى الثّورة على اليهود واستئصال شأفهم. بينما اكتفى بعض الآخرين بالدّعوة إلى تحاشيهم وفرض العزلة عليهم- خصوصًا- ابن حزم في ختام إحدى رسائله، حيث وجّه فيها دعوة للمسلمين بأن يجتنبوا اليهود ويقاطعوهم، يقول: " فليتّق الله تعالى امرؤ آتاه الله نعمة من نعمه، ومنحه عزّه، وليجتنب هؤلاء الأجناس الأنتان الأقذار الذين أحاق الله تعالى بهم من الغضب واللّعنة والذّلة والقلّة والمهانة والسّخط والخساسة والوسخ ما لم يحقّ بأمّة من الأمم قط وليعلم أنّ هذه الكسى التّي كساهم الله تعالى إيّاها أعدى من الجرب، وأسرع تعلّقًا من الجذام" (ابن حزم، 1960م، ص46).

4. 3. هجاء الفرنجة:

كان هذا اللّون من الهجاء وليد الظروف السّياسيّة التّي مرّت بها الأندلس كما كان ثمرة من ثمرات الصّراع بين المسلمين والنّصارى.

وإذا كان شعراء الأندلس قد خلّدوا انتصارات المسلمين في قصائد كثيرة أشادوا فيها ببطولة قوادهم وجيوشهم، فإنّهم من ناحية أخرى سخروا في شعرهم من هزائم أعدائهم، واستخفوا بملوكهم وقوّادهم، وعبّروا عن كراهيتهم لهم في صور كثيرة.

وتدور معاني هذا الهجاء حول نعت أعداء المسلمين بصفات الجبن والعار والمهانة، والتّنبؤ باندحارهم في أي حرب يخوضونها ضد المسلمين، ويكثر الشّعراء من رسم صور ساخرة مزرية لهم كقول ابن بقّي: (ابن بسام، 1979م، ص621)

يَا مَعْشَـــــــــــــــرَ الرّومِ قَـــــــــــــــــــد شَالَــتْ نَعَامَتُكمْ

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

إمَّا مـــــــــــــــــن الحينِ أو من شـــــــــــــــــدّةِ الفَشلِ

لم يَكْسِكُمْ مـــــــــــــــــن ثيابِ الخِـــــــــــــــــزي أسْبَغَهَا إلا

اتّقاؤُكُـــــــــــــــــم للصّـــــــــــــــــدرِ بالكَفَـــــــــــــــــلِ

يا ويلكـــــــــــــــــم مَعْشرًا بلْ ويـــــــــــــــــلُ أُمّكُـــــــــــــــــمْ

فإنّـــــــــــــــــها وُلِـــــــــــــــــدتْ للثّكـــــــــــــــــلِ والهَبَل

وصف الشّاعر ابن بقي مهجويه بالجبن وأنّهم كالنّعام، ويبيّن سبب الجبن أنّه لشدّة الفشل وتكراره. كما وصفهم بالفشل الشّديد، والخزي و لم يقف هجاؤه عند ذلك بل تعدّاه إلى قوله: بل ويل أمكم فإنّها ولدت للثّكل والهبل. مشيرًا إلى تثكيل أمهاتهم وفيه تهديد لهم أنّهم مهلكون لا محالة.

يامعشر الرّوم: جملة انشائيّة من نوع الانشاء الطّلبي. الدّال على طلب إقبال المدعو على الدّاعي. وفيه دلالة الزّجر. قد شالت نعامتكم: كناية عن صفة الجبن وفيه تشبيه. لم يكسكم من ثياب الخزي أسبغها: حرف النفي لم نفى وقوع الفعل، وجزَمَه وقلب معناه من الحال إلى المضي. يا ويلكم: جملة تفيد التّهديد والتّهويل لما هو آت.

ومن هذه الصّور التّي تصوّر جبن الأعداء وخورهم أمام بأس المسلمين وشجاعتهم قول ابن حزمون: (ابن صاحب الصلاة، 1964م، ص361).

ألـــــــــــــــمْ تَرَ قيصـــــــــــــــرَ في مُلكـــــــــــــــهِ

إلى السّلـــــــــــــــمِ من بَأسِكُم يَهْـــــــــــــــربُ

ولَمَّا تَنَلْـــــــــــــــهُ ســـــــــــــــوى عَضَّـــــــــــــــةٌ

لها بيـــــــــــــــنَ أكتافـــــــــــــــهِ مِخْلَـــــــــــــــبُ

والهجاء في هذه الأبيات يصوّر جبن القيصر وهروبه من الحرب رغم أنّه لم ير من بأسها شيئًا سوى القليل فماذا سيفعل إذا رأى ما هو أدهى وأمر مما رآه؟

ألم تر قيصر: جملة استفهاميّة تفيد التّقرير، استخدم فيها حرف الاستفهام الهمزة مقترنًا بلم.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ويذكّر ابن حزم بأمجاد المسلمين وما أحرزوه من انتصارات على الرّوم في السّياسة والحرب، وهو لا يصدر في ذلك نزعة إقليميّة، ولكنّه يصدر عن عاطفة دينيّة عامة، فيذكر بفتوحات المسلمين في الشّام والأندلس ومصر وصقليّة وغيرها من الأقطار: (عباس، 1969م، ص374)

أَلَمْ نَنْتزِعْ منكم بأيْدٍ وقوّةٍ
جميعَ بلادِ الشّامِ ضَرْبةَ لازمِ

ومصرَ وأرضَ القيروانِ بأسْرِها وأندَلُسًا
قَسرًا بضَربِ الجَماجمِ

ألَمْ تَنْتَصِفْ منكم على ضَعْفٍ حَالُهَا صِقِلِّيّة
في بَحْرِها المُتلاطمِ

أليسَ يزيدُ حَلَّ وَسطَ دِيارِكُم
على بابِ قسطنطينةَ بالصّوارمِ

ومَسْلَمةَ قد داسَها بعد ذاكُم بجيشٍ
لهامٍ كاللُّيوثِ الضّراغمِ

وأدَّى لهارونَ الرّشيدِ مِليكَكُم إتاوةَ
مَغلوبٍ وجِزْيةَ غَارمِ

والهجاء في هذه الأبيات يصف الضعف الذي أدّى إلى انتزاع الأراضي الأندلسية.

أكثر الشّاعر من الجمل الإنشائيّة الاستفهاميّة: ألم تنتزع، ألم تنتصف، أليس يزيد. وفيها دلالة التّقرير مع إظهار الضّعف. كما استخدم الإشاريات الشّخصية المتمثّلة في الضّمائر مختلفة الإحالات كضمير المخاطبين (كُم) في منكم، وضمير الهاء في: أسرها، حالها، بحرها، داسها. ومعلوم أنّ مثل هذه الضّمائر تساعد في تقوية الخطاب لما لها من حضور مصاحب بالتّوضيح. كما أكثر من الإشاريات المكانيّة كالمدن: بلاد الشام، مصر، أرض القيروان، أندلس، صقلية، قسطنطينية، مسلمة. والمكانيّة من غير المدن: وسط دياركم، باب القسطنطينية.

تكرّر صوت الميم في الأبيات وهو صوت مجهور من دلالاته: الحدّة والاضطراب كما يدلّ على الخضوع والضعف: ألم، منكم، جميع، لازم، مصر، جماجم، متلاطم، دياركم، صوارم، مسلمة، ذاكم، ضراغم، مليككم، مقلوب، غارم. ومتلاطم، صوارم، ضراغم: تفيد القوّة والحركة.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

تنتزع: فعل مضارع بني للمجهول لقوّة المشار إليه. ومن الصّور البلاغيّة الواردة: الكناية في: تنتصف منكم على ضعف حالها صقلية، قد داسها بعد ذاكم. والتّشبيه في: بجيش لهام كاللّيوث الضّراغم، أتاوة مغلوب وجزية غارم.

ويشير ابن حزم إلى سبايا الرّوم فيقول:

لياليَ قُدْناكـــــم كما اقْتادَ جَـــــازِرٌ
جماعـــــةَ أتياسٍ لحَـــــزِّ الحَلاقـــــمِ
وسُقْنَا علـــــى رِسْلٍ بنـــــاتِ مُلُوكِكُـــــمْ سَبايَا
كـــــما سِيقَتْ ظِبـــــاءُ الصّرَائـــــمِ

يوجّه ابن حزم خطابه إلى أسرى الرّوم وسباياهم ويحتقرهم ويقلّل من شأنهم ويهجوهم واصفًا لهم أنّهم أتياس سيقت لحزّ حلاقمهم، ومقابلة لهذا الهجاء المؤلم يخاطبهم أنّ بناتهم ونساءهم سيقت كالظباء.

ليالي قدناكم: استخدم الإشارية الزّمانية (ليالي) وهي من النّوع القبلي غير المبهم. أتياس: جمع قلّة على زنة (أفعال) دال على التّحقير.

استخدم صوت القاف وأكثر منه ليبيّن موقف القوّة التّي كانوا عليها: قدناكم، اقتاد، حلاقم، سقنا، سيقت. وفي الأبيات تشبيه واضح في: قدناكم كما اقتاد، وجماعة أتياس، كما سيقت ظباء.

وأدرك بعض الشّعراء هجاءهم حول تسفيه معتقدات الفرنجة، فسخروا من شعائرهم وطقوسهم، وذمّوا رجال دينهم وأماكن عبادتهم، كهذه الأبيات لابن شهيد يصوّر فيها ما يدور في إحدى الكنائس تصويرًا لاذعًا واصفًا من يرتادونها بأنّهم ضحايا إبليس، معرضًا بتصرّفات بعض القساوسة، على نحو ما يبدو في قوله: (ابن بسام، 1979م، ص682)

وكنيســـــةٍ أخـــــذَ البِلَـــــى منها كما
أبْصـــــرَتْ فينا فـــــي مغاربِ ينهـــــبُ
كـــــم صادَ إبليـــــسُ بها من تائـــــبٍ بحبائِلَ
ألقَـــــى بِهـــــنّ تَرهُّـــــبُ
وكم ابتنـــــى القسيـــــسُ فيـــــها منبرًا مـــــن
جؤذرٍ وبـــــدا عليـــــه يَخْطُبُ
سقيًا لها مـــــن دارِ غـــــيٍّ لم يـــــزلْ فيها
كريـــــمُ بالمـــــلاحِ مُعـــــذّبُ

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بئـــــــــسَ المصلـــــــــــــــــى إنْ أَرَدْتَ تَعَبُّـــــــــــــــــــــــــدًا
فيـــــــــــــــــه ولكـــــــــــــن كان نِعـــــــــــــــــــم المَشْرَبُ

ورد الهجاء في جهل الفريحة وانصياعهم نحو هواهم ومتابعة إبليس حتّى أنّ التّائب منهم صار من أنصاره. وهذا الهجاء مصوّر داخل الكنيسة وفيه نوع من الاستغراب إذ كيف يكون كذلك في دور عبادهم، لذلك لم تسلم من هجائه فوصفها أنّها بئس المصلّى. وكنيسة: كنيسة مجرورة بحرف الجر المحذوف (رُبّ) الذي يفيد التّقليل.

أكثر الشّاعر من استخدام صوت الباء الشّديد المجهور لما فيه من القوّة والإضطراب المنبعث من نفس غاضبة: البلى، أبصرت، مغارب، ينهب، إبليس، بها، تائب، بحبائل، بهن، ترهب، ابتنى، منبر، بدا، يحطب، بالملاح، معذب، بئس، تعبدا، المشرب.

استخدم الإشاريات المكانيّة: كنيسة، مغارب، منبر، دار غي، المصلى، المشرب. ونوّع بين أسلوبي المدح والذّم مستخدماً: نعم وبئس وفيهما أيضا طباق. توجد الكناية في: أخذ البلى منها، كم صاد إبليس. والاستعارة في: أبصرت فينا مغارب. والسّجع في: ينهب، ويحطب.

ويتّكئ ابن حزم في هجائه للنّصارى على الجوانب المتّصلة بالعقيدة، على نحو ما يبدو في قوله: (عباس، 1969م، ص374)

أيقـــــــــــــرن يا مخذولُ ديـــــــــــــــــنَ مُثَلِّـــــــــــــــــــــــثٍ
بعيـــــــــــــدٍ عن المعقـــــــــــــــــــولِ بادي المآثـــــــــــــــمِ
يُدِيـــــــــــــنُ لمخلُـــــــــــــــــوقٍ بديـــــــــــــــــــنِ عِبـــــــادَةٍ
فـــــــــــــــيا لك سَخْـــــــــــــــــفًا ليس يَخْفَـــــــــــى لِكاتمِ
أَنَاجيلُكُـــــــــــــــم مَصنُوعـــــــــــــــــةٌ مُتكـــــــــــــــاذِبٌ
كـــــــــــــــلامُ الألـــــــــــــــى فيما أَتَوْا بالعَظائـــــــــــمِ
وعـــــــــــــودُ صليـــــــــــــــبٍ لا تزالـــــــــــــــــون سُجَّدًا
لـــــــــــــــه يا عُقُولَ الهامِـــــــــــــــــلاتِ السَّوَائـــــــــمِ
إلى ملّـــــــــــــــةِ الإســـــــــــــــلامِ تَوحِيـــــــــــــــــدُ رَبِّنا فـــــما
ديـــــــــــــــنُ ذي ديـــــــــــــــــنٍ لـــــــــــــنا بِمقَاومِ
وصِـــــــــــدقُ رسالاتِ الـــــــــــــــــذي جاءَ بالهـــــــــدَى محمـــــــــــــــــدَ
الآتِـــــــــــي بِدفـــــــــــــــــعِ المَظَالـــــــــمِ

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فلـــــــــم تَمْتَهِنْـــــــــــــــــه قَطُّ قـــــــــــــــــوّةُ آســـــــــــــــــرٍ
ولا مَكّنَـــــــــــــــــتْ من جسمـــــــــــــــــهِ يَدُ لاطـــــــــــــــــمِ
كـــــــــــما يفتـــــــــــــــرى زُورًا وإفكًا وضِلّـــــــــــــــــــــــةً
علـــــــــــــى وجهِ عيســـــــــــــــى مِنكـــــــــــــم كُلّ آثـــــــــــم
على أنكـــــــــــــم قد قلتـــــــــــــــــمْ هو ربُّكُـــــــــــــــــــمْ فيا
لضـــــــــــــــــــلالٍ في الحَماقـــــــــــــــةِ جَاثـــــــــــــــمِ
أيلطُـــــــــــــــمُ وَجْـــــــــــــــهَ الرّبِّ تبًّا لجَهْلِكُـــــــــــــــــــم لقد
فُتُّـــــــــــــــــمْ في ظلمِكُـــــــــــــــــم كُلَّ ظَالـــــــــــــــمِ
أبـــــــــــى الله أنْ يُدعـــــــــــــــى له ابنٌ وصاحـــــــــبٌ سَيَلْقَـــــــــــــــى
دُعاةُ الكُفْـــــــــــــرِ حَالـــــــــــــــــةَ نَادمِ

يوجّه ابن حزم هجاؤه لأحد النّصارى ويهجوه في دينه ويصفه أنه مخذول دين ظاهر عليه الكثير من المآثم، كما يصفه بالسّخف الذي لا يخفى، ويوجّه طعنه كذلك نحو الإنجيل ويصفه بالكذب والصّنعة، ثم يمضي في هجائه ويصفهم بهملة العقول وعدم الفهم وشبههم بالبهائم في عدم التّفكير وذلك بسجودهم للأعواد التّي يصلب عليها، ويحثّهم أن ينتهجوا الدّين الإسلامي الذي هو أصحّ الأديان ولا يقاومه دين آخر، وأنّه أصدق الرّسالات جاء بها خير خلق الله وهو سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– الذي جاء دافعاً للظلم. وأنّ الدّين الإسلامي لم يحرّف كما حرّفت الأديان التّي قبله وكما افتُرِيَ زورًا وبهتانًا وإفكًا على الإنجيل ويصف من يفعل هذه الإفتراءات بالإثم. ثم يهجو النّصارى بجهلهم وقولهم أنّ المسيح عيسى بن مريم– عليه السّلام– هو ربّهم مشيرًا إليهم أنّ قولهم هذا ما هو إلا نتاج ضلالة وحماقة، ويدعم قوله باستفهام توبيخي (أيلطم وجه الرّب تبّا لجهلكم.) ثم يأتي بحجّة قويّة فيها تناص من القرآن الكريم وهي قوله أبى الله أن يدعى له ابن وصاحب. كما قال تعالى: (وأنّه تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا) (الجن: 3) وقوله تعالى: (قُلْ هُو اللهُ أحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ) (الإخلاص: 1–4). ويبيّن لهم عاقبة زعمهم هذا أنّ عاقبتهم الكفر المصحوب بالنّدم.

أيقرن يا مخذول: استفهام إنكاري مع استخدام أسلوب النداء بالأداة (يا) أوفيه دلالة على انحطاط منزلة المنادى وغفلته وشرود ذهنه. مخذول، مصنوعة، مخلوق: أسماء مفعول دالة على المضي. أما معقول فهو اسم مفعول فيه دلالة الحال والاستمرار.

هناك حضور لاسم الفاعل: كاتم، هاملات، آسر، لاطم، آثم، جاثم، ظالم، وفيها دلالة الحال والاستمرار. متكاذب على زنة متفاعل: فيها معنى المبالغة والمفاعلة.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

استخدام جموع الكثرة: سوائم، عظائم، مظالم، عقول، دالة على التكثير. واستخدم الأسلوب الخبري الابتدائي في: أناجيلكم مصنوعة... والإنكاري في: على إنكم قد قلتم هو ربكم.

في الأبيات جناس غير تام: مخذول ومخلوق، مخذول ومعقول، مقاوم ومظالم، مظالم و ظالم، كاتم وجاثم ، جاثم وآثم وفيها سجع أيضاً.

والقصيدة تسيطر عليها عاطفة دينيّة قويّة، وترتفع فيها نغمة الحماسة والحدّة، غير أنّ صدورها عن البديهة والارتجال أفقدها كثيرًا من المقوّمات الفنيّة.

4. 4. هجاء الشّعوبيّة:

كانت مشكلة الشّعوبيّة إحدى المشكلات الخطيرة التّي عانى منها المجتمع العربي لا سيما في العصر العباسي. ويشخّص الأستاذ الدّكتور محمد زغلول سلّام بواعث هذه المشكلة بقوله:" وقد أدّت إلى قيام هذه المشكلة أسباب عدّة منها عصبيّة العرب لعروبيتهم، وتمسّكهم بأنسابهم، واعتبارهم كلّ من لا يمت بنسب أو من لا يمتد نسبه ويعرق دعيًا..." (سلام، 1995م، ص16-17).

وقد وجدت مشكلة الشّعوبيّة أصداءً لها في المجتمع الأندلسي، وكانت بواعث وجودها في الأندلس هي البواعث نفسها التّي أدّت إلى وجودها في المشرق، ونعني بذلك وجود طبقة من المولّدين تشعر بالغبن والأزدراء، في مقابل طبقة أخرى من العرب تشعر بالتّفوّق والزّهو.

ويميّز المؤرّخون بين العناصر العربيّة أو البربريّة التّي جاءت فحلّت الجزيرة الأندلسيّة منذ الفتح وبين العناصر الإسبانيّة التّي اعتنقت الإسلام، وهذه العناصر الإسبانيّة المسلمة تسمّى عند المؤرخين العرب بالمسالمة أو بالمولّدين. فاسم (المسالمة) يطلق على الإسبانيين الذين اعتنقوا الإسلام. واسم (المولدين) على نسلهم. وكان المولّدون يؤلّفون زمن الأمويين القسم المهم من شعب الدّولة الأمويّة لقد اعتنقوا الإسلام بسرعة وأصبح من الصّعب- بعدة عدّة أجيال مضت- تمييزهم عن المسلمين الذين جاءوا الأندلس (الركابي، 1960م، ص35- 36).

وبجانب طبقة المولّدين وجدت طبقة اجتماعيّة أخرى كان لها تأثيرها في المجتمع الأندلسي، ونعني بذلك (الصّقالبة) وهذه التّسمية تطلق على السّلافيين بوجه خاص، وعلى أسارى الحرب والأرّقاء من مختلف الشّعوب الشّماليّة بوجه عام.

وبمرور الوقت أصبح الصّقالبة يشكّلون طبقة مهمّة في المجتمع الأندلسي" واستطاع فريق منهم أن يتحرّر من العبوديّة ويشغل مكانًا لائقًا في الحياة الاجتماعيّة، ومنهم من امتلك الأراضي غنيًّا، وقد تهذّبت طباعهم بالاحتكاك بالحضارة الأندلسيّة فرأينا فيهم بعض الأدباء والشّعراء والمؤلفين..." (الركابي، 1960م، ص38).

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وقد أدّى وجود المولدين والصّقالبة إلى ظهور النّزعة الشّعوبيّة في الأندلس، ومن ثمّ ظهرت بوادر الشّعوبيّة في الشعر الأندلسي منذ وقت مبكّر، ففي عصر الخلافة، عبّر الشّعر عن الصّراع الأدبي بين العرب والمولّدين.

وكان من مظاهر احتدام الصّراع الأدبي بين المولّدين والعرب في عصر الخلافة ظهور لون من المناقضات الشّعريّة بين الفريقين. "وكان للمولّدين شاعرهم المحامي عنهم، ويعرف بالعبلي، واسمه عبد الرحمن أحمد وينسب إلى قرية عبلة، ويناظر الشّاعر الأسدي واسمه محمد بن سعيد مخارق الأسدي أسد بني خزيمة، وكان كلّ منهما يحرّض قومه ويناضل عن مذهبه. ويصف ما يجري لقومه على أضدادهم من الوقائع المخزية. فمن أمثلة هذه المناقضات قول العبلي يشيد بأحد انتصارات قومه على العرب: (عباس، 1969م، ص98)

قد انقَضَتْ قَناتُهُم وذُلّوا
وزُعْزِعَ رُكْنُ عِزّهِم الأذَلُّ

يقدّم الشّاعر هجاءه في هذا البيت متمثّلًا في التّزعزع والعجز عن الدّفاع والذّود عن ممتلكاتهم.

ورد عليه الأسدي شاعر العرب بقصيدة من نفس البحر والرّوي يعتمد فيها طريقة القدماء في النّسج والصّياغة، منها قوله: (عباس، 1969م، ص99)

قد احْتَملَ الأحبـــةُ واستَقلّوا
لطِيَّتِهِم بليلٍ واحزألّوا
فظلّ الدّمعُ من جَزَعٍ عليهم إذا
احْتَمَلُوا يَسُحُّ وَيَسْتَهِلُ
سأصْرِفُ هِمَّتِي عَنْهم وأسْلُو
بِهَجْوِي مَعْشَرًا كَفَرُوا وضَلُّوا

يوجّه الشّاعر هجاءه لأولئك الذين وصفهم بالكفر والضلال. واستخدم الأفعال المضارعة الدّالة على الحال: قد احتمل، يسبح، يستهل. والاستقبال، سأصرف، وأسلو.

بليل: إشارية زمانيّة مبهمة.

وكانت منطقة إلبيرة من أظهر مناطق الصّراع بين العرب والمولدين في عصر الخلافة، فقد أحدث فيها المولدون فتناً كثيرة مثل فتنة عمر بن حفصون زعيم العجم التّي استمرّت أكثر من نصف قرن حتى تمّ القضاء عليه في خلافة عبد الرحمن النّاصر، وقد تغنّى ابن عبد ربه بهزيمة ابن حفصون: (عباس، 1969م، ص97).

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

رامَ ابـــــــــنُ حفصـــــــــونَ النَّجَاةَ فَلَمْ يَسِـــــــــرْ
والسّيـــــــــفُ طَالِبُـــــــــهُ فَلَيْـــــــــس بِنَاجٍ
مازالَ يَلْقَـــــــــحُ كـــــــــلَّ حَـــــــــرْبٍ حائِلٍ فالآنَ
أَنْتَجَـــــــــهَا بِشَـــــــــرٍّ نَتـــــــــاجِ
ركبـــــــــوا الفرارَ بعُصْبَـــــــــةٍ قد جَرّبـــــــــوُا غِـــــــــبَّ
السُّـــــــــرَى وخَاوَفَـــــــــتِ الإدلاجِ
وإذا سألتَـــــــــهم موالـــــــــيَ مَـــــــــنْ هُمْ
قالـــــــــوا: مَوالـــــــــيَ كُـــــــــلَّ ليلٍ داجِ

يتمثّل الهجاء في الفرار من الحرب والهزيمة النّكراء. ويذكر أنّ ابن حفصون هزم شرّ هزيمة. أكثر الشّاعر من ذكر الأفعال الماضية الدّالة على وقوع الفعل وحدوثه: رام، انتجها، ركبوا، جربوا، سألتهم، قالوا. لم يسر جاء فعل المضارع مقرونًا بلم حيث عملت فيه الجزم والنّفي والقلب. عصبة دالة على القليل من الجماعة. خاوفت: على زنة فاعلت وهي دالة على المطاوعة. ليل: إشارية زمانيّة مبهم.

إذا سألتهم: جملة شرطيّة جوابها الجملة بعدها: قالوا ... وأسلوب الشّرط هنا يتطلّب وقوع الجملة الواقعة مقول القول. للجملة الأولى قبلها التّي جاءت تحوي معنى السؤال: وإذا سألتهم. إذ لا تتحقّق الإجابة إلا بعد السؤال.

أمّا الصّقالبة فقد أصبح عددهم المتزايد يُشَكِّلُ خَطَراً كبيراً على سلطان حُكّام الأندلس، الأمر الذي جعل بعضُ الحُكّام يقوم بإخراجهم من قصره، مثلما فعل المنصور بن أبي عامر عندما استولى على مقاعد الحُكْم، فأوّل ما بدأ به نَكَبَ الصّقالبة وأخرجهم جميعاً من قصره، وكان عددهم ثمانمئة أو يزيدون.

كان طرد الصقالبة من قصور الحكّام أمراً مُفرحاً ومبهجاً، فها هو الشّاعر سعيد الشّنتريّ الّذي أعجب بطردهم من قصر المنصور بن أبي عامر حتّى خفّ ظهر السّلطان وقصره من أضرارهم ومكايدهم: (المراكشي، 1983م، ص264)

أُخْـــــــــرِجَ مـــــــــن قَصْـــــــــرِ إمَـــــــــامِ الهُـــــــــدَى
كُـــــــــلُّ فَـــــــــتًى مُـــــــــنْبَسِـــــــــطٍ جَـــــــــائِـــــــــرِ
فَمَـــــــــنْ رَأَيْـــــــــنَا مِنْهُـــــــــمُ قَـــــــــالَ لَا
مِـــــــــسَاسَ فِعْـــــــــلَ النَّـــــــــاسِ بِالسَّامِـــــــــرِ

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فَخَـــــــــفَّ ظَهْـــــــــرُ المَلِـــــــــكِ الـــمُرْتَضَـــــــــى
قَـــــــدْ خَـــــــفَّ مِـــــنْ ثِقْـــلِهُـــــــــــمُ الظَّاهِـــــــــرِ

والمتأمّل في حياة هؤلاء الصّقالبة– بصفة عامّة– يجد أنّ أعداداً كثيرة منهم اعتنقت الدّين الإسلاميّ، وخاصّةً الّذين كانوا من خدم القصر، إضافةً إلى تعلمهم لغةَ العربِ. ومن ثمّ كانوا ينظمون الأشعار، ونبغ من بينهم شعراء أخذوا من الأدب بأوفر نصيب.

5. خـــــــاتمة:

الحمد الذي بنعتمه تتمّ الصّالحات، وأصلّي وأسلّم على النّبي المصطفى وعلى آله وأصحابه المستكملين الشّرفاء وبعد:

جاءت هذه الدّراسة بعنوان: من أنواع الهجاء السّياسي في الشّعر الأندلسي– هجاء عناصر مكوّنات المجتمع الأندلسي– (نماذج مختارة). ومن هنا توصّل الباحث إلى عددٍ من النّتائج وهي:

1– جاء الهجاء العربيّ القبليّ نتيجةً لبعض الصّراعات والفتن الّتي احتدمت من أجل الاستئثار بالحكم أو الخلافة، وتدور معانيه حول الأحقيّة بالخلافة والإدّعاء بالنّسب لقبيلة قريش. والهجاء بالعصبيّة القبليّة لم يشتعل إلّا في العصور الأولى في الأندلس ثم خمدت بعد ذلك لانصهار عناصر السّكان من العرب في بوتقة واحدة ولظهور الإحساس بالانتماء إلى الوطن الأندلس، وتأصّل النّزعة الأندلسيّة الأصيلة في نفوس الأندلسيين.

2– كان هجاء الشّعراء لليهود يعبّر عن سخط الأندلسيين وغضبهم من تحكّم اليهود في شؤون المسلمين واستئثارهم بخيراتهم. لذلك وصفوهم بأبشع الأوصاف منها على سبيل المثال (أنذال، وأراذل) وغيرها من هذه الأوصاف.

ومن أكثر الأندلسيين المعارضين لليهود، والتّصدي لهم– ابن حزم، وأبو إسحاق الإلبيري– وإن كان ثمّة فارق بين طبيعة المعارضة عند كلّ منهما، فقد كان الإلبيري أكثر جرأة حين دعا– صراحة إلى الثّورة على اليهود واستئصال شأفتهم– كما مرّ بنا في أبياته السّابقة، بينما اكتفى ابن حزم بالدّعوة إلى تحاشيهم وفرض العزلة عليهم.

3– أمّا هجاء الشّعراء للفرنجة فقد كان وليد الظروف السّياسيّة الّتي مرّت بها الأندلس كما كان ثمرة من ثمرات الصّراع بين المسلمين والنّصارى.

وإذا كان شعراء الأندلس قد خلّدوا انتصارات المسلمين في قصائد كثيرة أشادوا فيها ببطولة قوادهم وجيوشهم، فإنّهم من ناحية أخرى سخروا في شعرهم من هزائم أعدائهم– الفرنجة– واستخفوا بملوكهم وقوّادهم، وعبّروا عن كراهيتهم لهم في صور كثيرة. مثل: تسفيه معتقداتهم، فسخروا من شعائرهم وطقوسهم، وذمّوا رجال دينهم وأماكن عبادتهم، ووصفوهم بصفات الجبن والعار والمهانة، والتّنبؤ باندحارهم في أي حرب يخوضونها ضد المسلمين.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4- أدّى وجود المولدين والصّقالبة إلى ظهور النّزعة الشّعوبيّة في الأندلس، ومن ثمّ ظهرت بوادر الشّعوبيّة في الشعر الأندلسي منذ وقت مبكّر، ففي عصر الخلافة، عبّر الشّعر عن الصّراع الأدبي بين العرب والمولّدين. واحتدام الصّراع الأدبي بين الشّعوبيّة والعرب أدّى إلى ظهور لون من المناقضات الهجائيّة بين الفريقين. وهذه المناقضات الهجائية انتهج فيها شعراء الأندلس طريقة شعر شعراء النقائض الذي كان بين جرير والأخطل والفرزدق في العصر الأموي. فكلّ منهما يحرّض قومه ويناضل عن مذهبه، ويشيد بانتصار قومه على أعدائه.

توصي الدّراسة الباحثين بدراسة أنواع الهجاء الأخرى في الشعر الأندلسي.

6. المصادر والمراجع:

1- **القرآن الكريم.**

2- ابن بسام: ابن بسام الشنتريني، (1979م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (ط1)، دار الثقافة، بيروت.

3- ابن حزم: ابن حزم الأندلسي، (1960م)، الرّد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، (ط1)، دار المعارف، القاهرة

4- ابن حيان: ابن حيان الأندلسي، (1971م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (ط1)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

5- ابن صاحب الصلاة: (1964م)، المن بالإمامة على المستضعفين، (ط1)، دار صادر، بيروت.

6- ابن منظور: جمال الدين بن منظور، (1985م)، لسان العرب، (ط12)، دار صادر، بيروت.

7- الإلبيري: أبو إسحاق الإلبيري، (1976م)، ديوان أبي إسحاق الإلبيري، (ط1)، دار صادر، بيروت.

8- التلمساني: المقري التلمساني، (1968م)، نفح الطيب من خصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، (ط1)، دار صادر، بيروت.

9- حسين: محمد حسين، (1971م)، الهجاء والهجّاءون في الجاهلية، (ط4)، دار النهضة العربية، بيروت.

10- دوزي: (1963م)، تاريخ مسلمي أسبانيا (الحروب الأهلية)، (ط1)، دار المعارف، القاهرة.

11- الركابي: جودة الركابي، (1960م)، في الأدب الأندلسي، (ط1)، دار المعارف، القاهرة.

12- سلام: محمد زغلول سلام، (1995م)، دراسات في الأدب العربي- العصر العباسي- (ط1)، منشأة المعارف، الإسكندرية.

13- سلامة: علي محمد سلامة، (2000م)، الأدب العربي في الأندلس تطوره، موضوعاته، أشهر أعلامه، (ط1)، دار المعارف، القاهرة.

14- عباس: إحسان عباس، (1969م)، تاريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة، (ط1)، دار صادر، بيروت.

المجلد: (17)	العدد: (01)	السنة: 2025	صفحات المقال: 454–475	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

15- غومس: غرسية غومس، (1974م)، مع شعراء الأندلس والمتنبي (سير ودراسات)، (ط1)، دار المعارف، القاهرة.

16- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (1997م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ط2)، المكتبة العلمية، بيروت.

17- لوبون: جوستاف لوبون، (1964م)، حضارة العرب، (ط1)، دار المعارف، القاهرة.

18- المراكشي: ابن عذارى، (1983م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (ط3)، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

19 -Lann- Pool، (1920م) :Tha Moors in spain By stanly، (ط1)، London